فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال

بقلم : زغلول النجـار

هذا النص القرآني جاء قبل منتصف سورة الرعد بقليل، وهي سورة مكية/ مدنية، عدد آياتها ثلاث وأربعون، وبها سجدة تلاوة واحدة، وقد سميت باسم هذه الظاهرة الجوية الرعد لإشارتها إلى حقيقة تخفى على كل الغافلين من الخلق المكلفين، وهي أن الرعد كغيره من الظواهر الكونية هو صورة من صور تسبيح تلك الظواهر لله الخالق الذي أنزل في محكم كتابه قوله الحق:. وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم.. (الإسراء:٤٤)
ومحور سورة الرعد الأساسي هو قضية العقيدة بتفاصيلها من توحيد الألوهية، والربوبية، والدينونة لله الخالق وحده(بغير شريك ولا شبيه ولا منازع) والإيمان بملائكته، وكتبه، ورسله، وبخاتمهم أجمعين سيدنا محمد بن عبدالله(صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه، ودعا بدعوته إلى يوم الدين) والإيمان بحتمية البعث، وبضرورة الحساب، وبالخلود في حياة قادمة إما في الجنة أبدا، أو في النار أبدا..!!
و من الآيات الكونية الواردة في صورة الرعد تشبيه الباطل بزبد السيل أو زبد الفلزات المصهورة، وتشبيه الحق بما يمكث في الأرض مترسبا من ماء السيل من مثل الجواهر والمعادن النفيسة والنافعة، أو يبقى بعد صهر الفلزات الثمينة والمفيدة مع عدد من المواد لتخليصها مما قد يكون فيها من شوائب على هيئة الخبث(الزبد).
يقول الحق(تبارك وتعالى):[أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال](الرعد:١٧)
ولكن قبل ذلك لابد من استعراض الدلالة اللغوية لبعض ألفاظ الآية الكريمة، ولأقوال عدد من المفسرين السابقين فيها.

الدلالة اللغوية لبعض ألفاظ الآية الكريمة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من الألفاظ الواردة في الآية الكريمة والتي تحتاج إلى بيان دلالتها اللغوية ما يلي:
(١) الزبد:(الزبد) في العربية مثل(زبد الماء)، و(زبد البعير)، و(زبد الذهب أو الفضة) وغيرها، هو فقاعات هوائية بها قليل من بخار الماء وبعض الجسيمات الصلبة على هيئة الرغوة: وتنشأ عن التحريك الشديد للسوائل أو غليها أو تخمرها، وعن صهر الفلزات وغليانها، والزبد(الخبث) في الحالة الأخيرة قد يتصلب ويجمد ولكنه يبقى مشابها لغثاء السيل في امتلائه بالفراغات والقاذورات، ولذلك تطلق لفظة(الزبد) على كل أمر تافه حقير، لأن هذا(الزبد) عادة لا قيمة له، ولا فائدة منه.
و(الزبد) عادة ما يعلو سطح الماء عند اشتداد حركته ويسمى الغثاء(من مثل غثاء السيل)، ويعلو سطح ما بقدر من السوائل أو الجوامد عند غليانها على هيئة الرغوة ويسمي الوضر أو الخبث ويقال:(أزبد) الشراب أي صار ذا(زبد) إذا تخمر ويقال: بحر(مزبد) أي مائج يقذف(بالزبد)، و(الزبد) اشتق اسمه من(الزبد) لمشابهته إياه في اللون، ويقال:(زبده) أي أطعمه(الزبد) كما يقال:(زبدته)(زبدا) أي أعطيته مالا وفيرا كالزبد كثرة، أو أطعمته (الزبد)، وفي الحديث الشريف: إنا لا نقبل زبد المشركين، و(الزباد) نور يشبه الزبد بياضا.

(٢) جفاء:(الجفاء) في العربية هو القطيعة وكل ما هو ضد البر، ولذا يقال:(جفوته)(أجفوه)(جفوة) و(جفاء) أي هجرته وقطعت كل صلة لي به، وهو بالنسبة لي(مجفو)، ويقال:(تجافي) جنبه عن الفراش أي نبا عنه، و(استجفاه) أي عده(جافيا، كما يقال:(جفت) القدر و(أجفت) و(أجفأت زبدها(إجفاء) أي ألقته إلى خارجها، و(أجفأت) الأرض أي أصبحت قاحلة(كالجفاء) بذهاب خيرها.
(٣) مكث:(المكث) بضم الميم وكسرها اللبث والثبات والانتظار، يقال:(مكث)(مكثا) ومكثا) و(تمكث) أي بقي وتلبث فهو(ماكث) وهم(ماكثون)، والأمر(امكثوا) أي ابقوا وتلبثوا.

أقوال المفسرين

في تفسير قوله تعالى:[أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال].(الرعد آية١٧).

ذكر ابن كثير(يرحمه الله) ما نصه: اشتملت هذه الآية الكريمة على مثلين مضروبين للحق في ثباته وبقائه، والباطل في اضمحلاله وفنائه، فقال تعالى:(أنزل من السماء ماء) أي مطرا،(فسالت أودية بقدرها) أي أخذ كل واد بحسبه، فهذا كبير وسع كثيرا من الماء وهذا صغير وسع بقدره..(فاحتمل السيل زبدا رابيا)، أي فجاء على وجه الماء الذي سال في هذه الأودية زبد عال عليه، هذا مثل، وقوله:(ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع) الآية، هذا هو المثل الثاني وهو ما يسبك في النار من ذهب أو فضة(ابتغاء حلية) أي ليجعل حلية، أو نحاسا أو حديدا فيجعل متاعا فإنه يعلوه زبد منه، كما يعلو ذلك زبد منه(كذلك يضرب الله الحق والباطل)، أي إذا اجتمعا لا ثبات للباطل ولا دوام له، كما أن الزبد لا يثبت مع الماء، ولا مع الذهب والفضة مما يسبك في النار، بل يذهب ويضمحل، ولهذا قال:(فأما الزبد فيذهب جفاء) أي لا ينتفع به، بل يتفرق ويتمزق ويذهب في جانبي الوادي، ويعلق بالشجر وتنسفه الرياح، وكذلك خبث الذهب والفضة والحديد والنحاس يذهب ولا يرجع منه شيء ولا يبقى إلا الماء وكذلك الذهب ونحوه ينتفع به، ولهذا قال:(و أما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال)..

وجاء في الجلالين " رحم الله تعالى كاتبيه " ما نصه: ثم ضرب مثلا للحق والباطل فقال:(أنزل) تعالى(من السماء ماء) مطرا(فسالت أودية بقدرها) بمقدار ملئها(فاحتمل السيل زبدا)(رابيا) عاليا عليه، والزبد هو ما على وجهه من قذر ونحوه(ومما توقدون) بالتاء والياء(عليه في النار) من جواهر الأرض كالذهب والفضة والنحاس(ابتغاء) طلب(حلية) زينة(أو متاع) ينتفع به كالأواني إذا أذيبت "أي انصهرت "(زبد مثله) أي: مثل زبد السيل، وهو خبثه الذي ينفيه الكير(كذلك) المذكور(يضرب الله الحق والباطل) أي يضرب مثلهما(فأما الزبد) من السيل ومما أوقد عليه من الجواهر والمعادن(فيذهب جفاء) باطلا مرميا به، وهذا مثل الباطل(وأما ما ينفع الناس) من الماء والجواهر والمعادن(فيمكث) يبقى(في الأرض) زمانا، وهذا مثل الحق، كذلك الباطل يضمحل وينمحق وإن علا على الحق في بعض الأوقات، والحق ثابت باق(كذلك) المذكور(يضرب) يبين(الله الأمثال).
وجاء في تفسير الظلال " رحم الله تعالى كاتبه رحمة واسعة " ما نصه: ثم نمضي مع السياق، يضرب مثلا للحق والباطل، للدعوة الباقية والدعوة الذاهبة مع الريح، للخير الهادئ والشر المنتفخ، والمثل المضروب هنا مظهر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لقوة الله الواحد القهار، ولتدبير الخالق المدبر المقدر للأشياء، وهو من جنس المشاهد الطبيعية التي يمضي في جوها السياق:(أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا..) الآية.

وإنزال الماء من السماء حتى تسيل به الوديان يتناسق مع جو البرق والرعد والسحاب الثقال في المشهد السابق، ويؤلف جانبا من المشهد الكوني العام الذي تجري في جوه قضايا السورة وموضوعاتها وهو كذلك يشهد بقدرة الواحد القهار..
وأن تسيل هذه الأودية بقدرها، كل بحسبه، وكل بمقدار طاقته ومقدار حاجته يشهد بتدبير الخالق عز وجل وتقديره لكل شيء.. وهي إحدى القضايا التي تعالجها السورة.. وليس هذا أو ذلك بعد إلا إطارا للمثل الذي يريد الله تعالى ليضربه للناس من مشهود حياتهم الذي يمرون عليه دون انتباه.

إن الماء لينزل من السماء فتسيل به الأودية، وهو يلم في طريقه غثاء فيطفو على وجهه في صورة الزبد حتى ليحجب الزبد الماء في بعض الأحيان، هذا الزبد نافش راب منتفخ. ولكنه بعد غثاء، والماء تحته سارب ساكن هادئ.. ولكنه هو الماء الذي يحمل الخير والحياة.. كذلك يقع في المعادن التي تذاب "تصهر " لتصاغ منها حلية كالذهب والفضة، أو آنية أو آلة نافعة للحياة كالحديد والرصاص، فإن الخبث يطفو وقد يحجب المعدن الأصيل، ولكنه بعد خبث يذهب ويبقى المعدن في نقاء.
ذلك مثل الحق والباطل في هذه الحياة، فالباطل يطفو ويعلو وينتفخ ويبدو رابيا طافيا ولكنه بعد زبد أو خبث، ما يلبث أن يذهب جفاء مطروحا لا حقيقة له ولا تماسك فيه، والحق يظل هادئا ساكنا، وربما يحسبه بعضهم قد انزوى أو غار أو ضاع أو مات، ولكنه هو الباقي في الأرض كالماء المحيي والمعدن الصريح ينفع الناس(كذلك يضرب الله الأمثال) وكذلك يقرر مصائر الدعوات، ومصائر الاعتقادات، ومصائر الأعمال والأقوال.. وهو الله الواحد القهار، المدبر للكون والحياة، العليم بالظاهر والباطن، والباقي والزائل.

وذكر صاحب صفوة البيان لمعاني القرآن " رحمة الله تعالى رحمة واسعة " ما نصه:(أنزل من السماء ماء) ضرب الله مثلين للحق هما الماء الصافي، والجوهر الصافي، اللذان ينتفع بهما، ومثلين للباطل: هما زبد الماء، وزبد الجوهر، اللذان لا نفع فيهما(فسالت أودية بقدرها) فسالت المياه في الأودية بمقدارها الذي عينه الله تعالى، واقتضته حكمته في نفع الناس، أو بمقدارها قلة وكثرة بحسب صغر الأودية وكبرها، والأودية جمع واد وهو الموضع الذي يسيل فيه الماء بكثرة، ويطلق على الفرجة بين الجبلين.(فاحتمل السيل) أي فحمل الماء السائل في الأودية(زبدا) وهو ما يعلو على وجه الماء عند اشتداد حركته ويسمى الغثاء، وما يعلو على القدر عند الغليان كالرغوة ويسمى الوضر والخبث.(رابيا) عاليا مرتفعا فوق الماء، طافيا عليه، وهنا تم المثل الأول، ثم ابتدأ في الثاني فقال(ومما يوقدون عليه في النار) أي ومن الذي يفعلون عليه الإيقاد في النار كالذهب والفضة والنحاس والرصاص وغيرها من المعادن،(ابتغاء حلية) أي لأجل اتخاذه حلية للزينة والتجمل كالأولين(أو متاع) أو لأجل اتخاذه متاعا يرتفق به كالآخرين.(زبد مثله) أي مثل ذلك الزبد في كونه رابيا فوقه، فقوله(زبد) مبتدأ مؤخر خبره(مما يوقدون)،(كذلك يضرب الله الحق والباطل) أي يضرب مثلهما للناس للاعتبار،(فأما الزبد فيذهب جفاء) فأما الزبد الذي من كل من السيل ومما يوقدون عليه في النار فيذهب مرميا به مطروحا، يقال جفأ الماء بالزبد أي إذا قذفه ورمي به، وجفأت القدر: رمت بزبدها عند الغليان، وأجفأت به وأجفأته.

وذكر أصحاب المنتخب في تفسير القرآن الكريم جزاهم الله تعالى خيرا ما نصه:
فهو الذي أنزل عليكم الأمطار من السحاب، فتسيل بها الأنهار والوديان كل بالمقدار الذي قدره الله تعالى لإنبات الزرع وإثمار الشجر، والأنهار في جريانها تحمل ما لا نفع فيه ويعلو على سطحها، فيكون فيها ما فيه نفع فيبقى، وما لا نفع فيه يذهب، ومثل ذلك الحق والباطل، فالأول يبقى والثاني يذهب، ومن المعادن التي يصهرونها بالنار ما يتخذون منها حلية كالذهب والفضة ومنافع ينتفعون بها كالحديد والنحاس، ومنها ما لا نفع فيه يعلو السطح، وأن ما لا نفع فيه يرمى وينبذ، وما فيه النفع يبقى، كذلك الأمر في العقائد: ما هو ضلال يذهب، وما هو صدق يبقى، وبمثل هذا يبين الله سبحانه الحقائق، ويمثل بعضها ببعض لتكون كلها واضحة بينة.

وجاء في الهامش: بين الله شبيهين للحق هما الماء الصافي والمعدن الصافي ينتفع بهما وبين شبيهين للباطل هما زبد الماء وزبد المعادن المذابة(المنصهرة) لا نفع منها فقال: أنزل من السحاب مطرا فسالت مياه أودية بمقدارها في الصغر والكبر فحمل الماء السائل زبدا عاليا على وجه الماء يسمى غثاء، ومن بعض المعادن التي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يوقد الناس عليها في النار كالذهب والفضة والنحاس والرصاص طالبين عمل حلية أو متاع ينتفع به كالأواني وغيره. زبد مثل زبد الماء في كونه عاليا فوق سوائل " منصهر " المعادن يسمى خبثا كهذا المذكور من الماء وزبده والمعدن وزبده، بين الله عز وجل للناس الحق والباطل، فالحق كالماء الصافي والمعدن الصافي والباطل كالزبد الذي لا ينتفع به.
فأما الزبد الناشئ عن السيل والمعادن فيذهب مرميا به، وأما ما ينفع الناس من الماء والمعادن فيبقى في الأرض للنفع كهذين المثلين في الجلاء والوضوح يبين الله عز وجل الأمثال للناس فيبصرهم بالخير والشر.

مفهوم الآية الكريمة في ضوء المعارف الحديثة

يقول ربنا(تبارك وتعالى): أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال.(الرعد:١٧).

هذا المثل القرآني الرائع يشبه الباطل الدنيا بالزبد الذي يطفو فوق أسطح السيول المتدفقة بالماء في الأودية الضيقة والواسعة على حد سواء، أو بما يشبهه من الزبد الذي يطفو فوق أسطح المعادن الفلزية النفيسة والنافعة حينما يتم صهرها مع بعض المواد لتنقيتها من الشوائب العالقة بها، وفي الحالتين يتضح أن الزبد الذي يحمله السيل(غثاء السيل)، والزبد الذي يطفو فوق أسطح الفلزات المصهورة(خبث الفلزات) لا قيمة لهما، ولا فائدة في أي منهما، وكلاهما نهايته النبذ والإلقاء.. وكذلك الباطل...!!
وفي المقابل يشبه هذا المثل القرآني الحق بما يمكث في الأرض مما ينتفع به الناس في الحالتين: ففي حالة السيول الجارية في الأودية ينتفع الناس بمائها " والماء سر من أسرار الحياة " كما ينتفعون بما يحمله السيل من ثروات معدنية كبيرة تترسب بالتدريج على طول الوادي الذي يندفع فيه السيل، وذلك مع تباطؤ سرعة جريان الماء المتدفق في الأودية وتناقص قدرته على الحمل، فتترسب هذه المعادن كل حسب حجم حبيباته وكثافته النوعية: الأثقل فالأقل كتلة بالتدريج حتى يتم تمايز حمولة تلك السيول من المعادن، وتركيز كل منها في مناطق محددة من مجاري السيول، وتعرف هذه الترسيبات المعدنية باسم رسوبيات القرارة(PlacerDeposits)، وكثير من الثروات الأرضية تتجمع بمثل هذه الطريقة لوجودها أصلا بنسب ضئيلة في صخور الأرض، ويتم ذلك بتكرار هذه العملية لمرات عديدة عبر آلاف السنين إن لم يكن عبر آلاف بل عشرات الآلاف من القرون، وهذه حقيقة لم تكن معروفة وقت تنزل القرآن الكريم، ولا لقرون متطاولة من بعد نزوله، ولذلك ركز الأقدمون من المفسرين على أن ما يمكث في الأرض بعد ذهاب غثاء السيل(أي زبده) جفاء هو الماء، وما يستفاد به منه في حياة الناس من شرب، وسقيا للحيوانات، وري للنباتات والمزروعات..

وفي حالة خامات الفلزات النفيسة منها كالذهب والفضة والبلاتين، والمفيدة كالحديد والنحاس والرصاص والقصدير وغيرها فإنه يضاف إلى تلك الخامات بعض المواد التي تساعد على انصهارها، وعلى تنقيتها مما فيها من شوائب، وهذه المواد المساعدة من مثل الحجر الجيري، والرمل، وثاني أكسيد المنجنيز وغيرها تتحد مع ما بتلك الفلزات من شوائب عند صهرها وتطفو بها فوق سطح الفلز المنصهر مكونة ما يعرف باسم خبث الفلزات، وهذا الخبث ينفصل تماما عن الفلز المنصهر الصافي، وحينما يترك ليتبرد يتجمد على هيئة طبقة زجاجية سوداء، مليئة بالفقاعات الهوائية، تشبه إلى حد بعيد غثاء السيل وما يحمل معه من شوائب، وبانفصال طبقة الخبث يصبح الفلز في درجة عالية من الصفاء والنقاء، وبهذا يشبه القرآن الكريم الحق في صفائه ونقائه.
والتشبيه في الحالتين: تشبيه الباطل بالزبد الجافي، وتشبيه الحق بما يمكث في الأرض فينتفع به الناس جاء على قدر من الدقة اللغوية والعلمية، والإحاطة والشمول بالمعنى المقصود لم تكن متوافرة لأحد من الخلق وقت تنزل القرآن الكريم ولا لأكثر من عشرة قرون بعد تنزله.. مما يقطع بأن القرآن الكريم هو كلام الله الخالق، ويشهد بالنبوة والرسالة للنبي الخاتم والرسول الخاتم الذي تلقاه(صلى الله عليه وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه ودعا بدعوته إلى يوم الدين).

فمن الأمور الثابتة اليوم أن دورا من الأدوار المنوطة بماء الأرض " والماء أصلا هو سر من أسرار الحياة " منذ اللحظة الأولى لانبثاقه من داخل الأرض إلى خارجها(خلال فترة دحوها) وبدأ دورته حول الأرض هو شق المجاري المائية والأودية، وتسوية سطح الأرض، والتعاون على تعرية الصخور ونحتها، وتفتيت مكوناتها، وإذابة ما يقبل الذوبان من تلك المكونات وحمله إلى مياه البحار والمحيطات، وترك الباقي على هيئة تربة الأرض،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أو حمله أيضا إلى البحار والمحيطات والبحيرات والمنخفضات على هيئة الرسوبيات التي تتضاغط تدريجيا لتكون الصخور الرسوبية.
ومن المعروف أن صخور الأرض تتكون من المعادن، وأن تلك المعادن تتباين في تركيبها الكيميائي، وفي صفاتها الفيزيائية(الفطرية) فمنها ما يتحمل عمليات التعرية ويقاومها فيبقى لفترة طويلة، ومنها ما لا يقوى على ذلك فيبلى بسرعة فائقة، ومنها ما هو عالي الكثافة فيرسب في الماء، ومنها ما هو أقل كثافة من الماء فيحمله الماء إلى مسافات بعيدة ويظل عالقا به لفترات طويلة، وحينما تحمل السيول الجارفة هذا الفتات الصخري منحدرة به من قمم الجبال الشاهقة إلى سفوحها الهابطة والسهول المحيطة بها، قد تنتهي به إلى قيعان البحار والمحيطات أو إلى دالات داخلية في قلب السهول والسهوب الصحراوية، وتقوى السيول على حمل الفتات الصخري طالما كانت مندفعة بسرعات عالية، ولكن حينما تضعف سرعة التيار المائي تتناقص قدرته على حمل الفتات الصخري فيبدأ في ترسيبه في مجري الوادي الذي يتحرك فيه السيل بالتدريج حسب كتلة ما يحمل من فتات، وبهذه الطريقة يتمايز هذا الفتات الصخري حسب حجم حبيباته، والكثافة النوعية لكل منها، فالمعادن ذات الكثافة العالية والحبيبات الخشنة تترسب أولا، ويليها بالتدريج المعادن ذات الكثافة الأقل وحجم الحبيبات الأدق، وتؤدي عملية التمايز إلى تركيز عدد من جواهر الأرض كالألماس والياقوت والزمرد، والزبرجد والعقيق والفيروز وغيرها وعدد من الخامات الفلزية النفيسة من مثل الذهب والفضة والبلاتين وغيرها والنافعة من مثل الحديد والنحاس والرصاص والقصدير والزنك والمنجنيز والكروم والنيكل وغيرها، علي هيئة تجمعات رسوبية في قيعان الأودية التي مرت بها تلك السيول، ولعل هذا هو من دلالات قول الحق تبارك وتعالى:.... وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض.. وليس الماء فقط كما تصور السابقون من المفسرين..
كذلك في قول الحق(سبحانه وتعالى):.. فسالت أودية بقدرها.. نرى أنه بالإضافة إلى حجم الوادي ضيقا وسعة (وبالتالي قلة في كم الماء المندفع فيه وكثرة) لعل من المقصود أيضا هو الطريق الذي يسلكه الماء مارا بمناطق ممعدنة أو غير ممعدنة؟ وبأي نوع وقدر من التمعدن؟ لأن هذا من تقدير الله كما نوعا..

أما المواد الخفيفة والغثائية التي تحملها فقاقيع الهواء المتكونة بسبب سرعة اندفاع الماء في الوادي على هيئة زبد السيل أو غثائه، فيتكون من الأتربة الدقيقة، وبقايا المعادن المسحوقة أو الرقيقة، والقش، وغيره من فتات النباتات، مما لا قيمة له، ولا نفع منه، ولذا يجمع تحت اسم غثاء السيل ويعبر به عن كل تافه وحقير.
ويحمل السيل غثاءه فوق سطح مائه حتى يلقي به على جوانب الوادي أو دلتاه الداخلية أو في عرض البحر فلا يكاد يبقى له من أثر..!!

وعلى ذلك فإن عوامل التعرية ـ وبخاصة الماء(سائلا ومتجمدا) ـ قد لعبت، ولا تزال تلعب، دورا مهما في تهيئة الأرض لكي تكون صالحة للعمران، ومن أهم هذه الأدوار " بالإضافة إلى كون الماء مصدرا من مصادر الحياة وسرا من أسرار الله فيها " هو دور الماء في تفتيت الصخور، وتكوين التربة والرسوبيات المختلفة، وفرز ما فيها من معادن غير قابلة للذوبان في الماء، ومقاومة لعمليات البري والتفتيت، وتركيزها عبر نقلها من مكوناتها في داخل الصخور بعد تفتيتها، وحملها بواسطة السيول، وترسيبها في مجاري الأودية والأنهار ودالاتها، وعلى شواطئ البحار وفي مستنقعاتها، مع تباطؤ سرعة جريان السيل، وتناقص قدرة الماء على الحمل، ومن هنا كانت تسمية تلك الرسوبيات باسم رسوبيات القرارة، أما على شواطئ البحار فتقوم عمليات المد والجزر بحمل الخفيف من المعادن وتركيز الثقيل منها على الشواطئ تحت مسمى الرمال السوداء.
ويعد كل من الذهب والفضة والقصدير من الثروات الأرضية المهمة التي تركز في رسوبيات القرارة، وتستخرج من رواسب الأودية، ومن قيعان ودالات بعض الأنهار، ولذا تعتبر رسوبيات القرارة من المصادر التعدينية الهامة والميسرة على وجه الأرض.

وقد قامت السيول المائية في القديم " و لا تزال تقوم " بإزالة ما بطريقها من نباتات، وحملها إلى عدد من البحيرات الداخلية، والمستنقعات، وشواطئ البحار، حيث تم طمرها بالرسوبيات، وتفحمها بمعزل عن الهواء مكونة طبقات من الفحم ذات القيمة الاقتصادية العالية، وبزيادة الحرارة على تلك الطبقات الفحمية في بعض المناطق تحولت إلى الغاز الطبيعي، وهو أيضا ذو قيمة اقتصادية عالية.
كذلك فإن العديد من صور الحياة الهائمة والسابحة في مياه البحار وفي دالات الأنهار، تهبط حين تموت إلى قيعان البحار حيث تطمر بالرسوبيات، وتدفن في الأعماق، فتتحلل تلك البقايا مكونة كلا من النفط والغاز المصاحب له، واللذين لا تخفى أهميتهما اليوم على عاقل.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أما ما يحمل ماء السيول من عناصر ومركبات مذابة فيه فإنها تترسب أيضا بالتفاعلات الكيميائية في مجاري الأودية والأنهار ودالاتها، وفوق قيعان البحار والبحيرات على هيئة عدد من الركازات المعدنية المهمة التي منها: الحجر الجيري، الفوسفات، البوتاس، الكبريت، الملح، الجبس، الأنهيدرايت، البوكسايت(ثالث أكسيد الألومنيوم)، الماجنيزايت(كربونات المغنيسيوم) وغيرها.
ولعل هذا كله مما يمكن ضمه تحت مدلول النص القرآني المعجز.. وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال.

هذه الدقة في التعبير، والشمول والإحاطة في الدلالة على عدد من العمليات الأرضية التي لم يصل الإنسان إلى فهمها إلا بعد مجاهدة استغرقت عشرات الآلاف من العلماء لمئات السنين.. ورودها في كتاب الله الذي أنزل من قبل ألف وأربعمائة من السنين بهذا الأسلوب المعجز وقد جاءت في مقام التشبيه مما يشهد للقرآن الكريم بأنه كلام الله الخالق الذي أنزله بعلمه..
ويشهد للنبي الخاتم الذي تلقاه بأنه كان موصولا بالوحي، ومعلما من قبل خالق السماوات والأرض.. فصلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه ودعا بدعوته إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com